MUMTAZ LC

MUQORROR TUTORING FOCUSED ON STUDENTS' SUCCESS

تمت كتابة هذا الملخص في مادة علوم القرآن للفرقة الأولى في كلية أصول الدين بالقاهرة

تلخيص : محمد توفيق الحرامي السولاويسي الإندونيسي

مدرس على قناة (MUMTAZ LC)

https://whatsapp.com/channel/0029Vb6hHoN6BIEjrvIK7I2d

ملخص علم التوحيد

المقدمة ومنهجية العلوم (صفحة 4–5):

- **كمال النفس بالعلم** :يبين الكتاب أن كمال الإنسان في قوته الإدراكية يتحقق بمعرفة الأشياء على حقيقتها بقدر الطاقة البشرية.
- **تمييز العلوم** :بما أن المسائل العلمية كثيرة ومتنوعة، فقد بحث العلماء الأوائل عما يجمعها ليسهل تعلمها وضبطها .وجدوا أن المسائل إما تشترك في أمر:
  1. **ذاتي** :وهو الشيء الأساسي الذي لا ينفصل عن حقيقة الشيء (مثل النطق للإنسان).
  2. **عرضي** :وهو الشيء الخارج عن حقيقة الشيء ويمكن أن يتغير (مثل الطول أو اللون للإنسان).
- **مبادئ الشروع في العلم** :يجب على طالب العلم قبل البدء في أي فن أن يدرك ثلاثة أمور تسمى "مقدمة العلم:"
  1. **تعريف العلم** :ليكون على بصيرة تامة ويميزه عن غيره.
  2. **موضوع العلم** :وهو المسائل التي يبحث فيها العلم.
  3. **فائدة العلم (الثمرة)** :ليدرك قيمة المشقة التي سيتحملها ويزداد رغبة في طلبه.

تعريف علم التوحيد (صفحة 6):

يُعرف علم التوحيد من جهتين:

1. **الجهة الذاتية** :هو علم يبحث عن "المعلوم" (أي كل ما يصح أن يُعلم سواء كان موجوداً أو معدوماً) من حيث إثبات العقائد الدينية (مثل: الله قادر) أو الوسائل الموصلة إليها (مثل: العالم متغير).
2. **الجهة العرضية** :هو علم يمنح القدرة على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج والبراهين ودفع الشبهات عنها.

موضوع علم التوحيد وثمرته (صفحة 7–8):

- **موضوعه** :هو "المعلوم" الشامل للموجود والمعدوم، من حيث البحث في ذات الله وصفاته، أو البحث في العالم لإثبات وجود الخالق.
- **فوائد (ثمرات) علم التوحيد:**
  1. **للفرد** :الانتقال من التقليد إلى اليقين، وتحقيق الإخلاص في العمل الناتج عن خشية الله ومعرفته.

2. **للغير** :إرشاد المسترشدين وإقامة الحجة على المعاندين.
3. **للدين** :حفظ قواعد الإسلام من الشبهات، وهو الأساس الذي تُبنى عليه باقي العلوم الشرعية (كالتفسير والحديث والفقه)؛ فبدون إثبات وجود الخالق لا يتصور وجود هذه العلوم.
4. **الفائدة العامة** :الفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة.

تاريخ تدوين علم الكلام (صفحات 8–11)

يرصد الكتاب كيف تطور البحث في العقائد عبر العصور:

1. **عصر النبي ﷺ والخليفتين أبي بكر وعمر** :كان المسلمون يكتفون بما جاء في القرآن .يفهمون الآيات الواضحة (المحكمة) على معناها المتبادر، ويفوضون معنى الآيات التي قد يوهم ظاهرها التشبيه (المتشابهة) إلى الله تعالى مع اعتقاد تنزيهه عن كل نقص.
2. **عصر عثمان وعلي رضي الله عنهما** :بدأت الخلافات تظهر حول مسائل سياسية وعقدية، كمسألة الخلافة.
3. **العصر الأموي** :اتسع الخلاف وافترق الناس إلى ثلاث مجموعات رئيسية:
   - **الشيعة** :رأوا أن الإمام علي هو الأحق بالخلافة وصيةً من الرسول ﷺ.
   - **الخوارج** :رأوا أن الخلافة اختيار حر للمسلمين ولا يشترط فيها القرشية.
   - **المعتدلون (أهل السنة والجماعة)** :الذين سعوا لبيان العقائد بالعقل والنظر في الكون كما أرشد القرآن.

أبرز الشخصيات في التدوين :

- **الحسن البصري** :كان إماماً كبيراً في البصرة.
- **واصل بن عطاء** :تلميذ الحسن البصري الذي اختلف معه في مسائل (مثل منزلة مرتكب الكبيرة) واعتزل مجلسه، فأسس فرقة "المعتزلة" وبدأ التأليف في هذا الفن في أوائل القرن الثاني الهجري.
- **أبو منصور الماتريدي** :ظهر في أواخر القرن الثالث، وتصدى للرد على العقائد الباطلة.
- **أبو الحسن الأشعري** :كان معتزلياً ثم رجع عن مذهبهم وأعلن ذلك في جامع البصرة، وألف كتباً كثيرة للدفاع عن منهج أهل السنة، ويعد عصره (بداية القرن الرابع) مرحلة هامة في نضوج هذا العلم.

أشهر الكتب في علم التوحيد (صفحة 11)

تنقسم الكتب المؤلفة في هذا الفن إلى نوعين:

1. **كتب مطولة وموسعة** :تذكر مذاهب الفرق المختلفة وترد عليها بالتفصيل، مثل: "المواقف"، "المقاصد"، و"العقائد النسفية."

2. **كتب مختصرة** :تقتصر على ذكر عقيدة أهل السنة وأدلتها باختصار، مثل: "الفقه الأكبر" للإمام أبي حنيفة، و"رسالة التوحيد" للشيخ محمد عبده.

مبحث الوجوب والإمكان والامتناع (صفحة 12)

يبدأ الكتاب بتوضيح أن العقل يدرك هذه المفاهيم الثلاثة بـ **الفطرة (الضرورة)**، أي أن الإنسان بطبعه يفرق بين الشيء الذي "لا بد أن يوجد" والشيء الذي "يستحيل أن يوجد" والشيء الذي "يمكن أن يوجد ويمكن أن ينعدم"، ولذلك فإن التعاريف المذكورة لها هي تعاريف لفظية لتقريب المعنى فقط:

1. **الواجب (الوجوب)** :هو الشيء الذي يمتنع عدمه (لا يقبل العقل فكرة عدمه).
2. **الممتنع (الامتناع)** :هو الشيء الذي يجب عدمه (لا يقبل العقل فكرة وجوده).
3. **الممكن (الإمكان)** :هو الشيء الذي لا يجب وجوده ولا يجب عدمه (يستوي فيه الطرفان).

تقسيمات الواجب والمستحيل والممكن (صفحة 13)

- **أقسام الواجب:**
  - **واجب لذاته** :هو الذي يقتضي وجودَه ذاتُه، مثل وجود الله تعالى.
  - **واجب لغيره** :هو في الأصل "ممكن"، لكنه صار واجباً لأن الله علم في أزله أنه سيوجد، فلا يمكن أن يتخلف علم الله.
- **أقسام المستحيل:**
  - **مستحيل لذاته** :مثل وجود شريك للخالق.
  - **مستحيل لغيره** :هو ممكن في الأصل، لكنه صار مستحيلاً لأن الله علم أنه لن يوجد.
- **الممكن** :لا يكون إلا **ذاتياً**، فلا يوجد شيء يسمى "ممكن لغيره" وهو في ذاته واجب أو مستحيل.

هل هذه المفاهيم حقيقية أم ذهنية؟ (صفحات 14–15)

انتقل الكتاب لمناقشة طبيعة هذه المفاهيم: هل هي موجودة في الواقع (وجودية) أم أنها مجرد مفاهيم في العقل (اعتبارية)؟

1. **الامتناع** :اتفق العلماء أنه **أمر اعتباري ذهني** .والسبب بسيط: لأنه صفة لشيء "مستحيل الوجود"، فكيف يكون للصفة وجود في الخارج والموصوف نفسه معدوم؟.
2. **الوجوب والإمكان** :اختلف فيهما المتكلمون:
   - **الفريق الأول** :يرى أنهما "اعتباريان" (في العقل فقط).
   - **الفريق الثاني** :يرى أنهما "وجوديان" (لهما حقيقة في الواقع).

توضيح المصطلحات الهامة :

- **الوجودي** :ما ليس في مفهومه نفي (مثل الإنسان).
- **العدمي** :ما أُخذ السلب (النفي) في تعريفه (مثل العمى، فهو عدم البصر).
- **الحقيقي** :الثابت في الواقع خارج الذهن (مثل القدرة).
- **الاعتباري** :ما لا وجود له إلا بفرض العقل وتصوره (مثل الإمكان).

أدلة الفريق الأول: الوجوب والإمكان أمران اعتباريان (ذهنيان)

استدل هذا الفريق (الذي يرى أن هذه المفاهيم مجرد تقديرات عقلية لا أعيان لها في الواقع) بأربعة أدلة:

1. **الدليل الأول (حول الوجوب)** :لو كان "الوجوب" شيئاً موجوداً في الخارج، فإما أن يكون هو نفسه "واجباً" أو "ممكناً."
   - إذا كان **ممكناً**، فكيف يمنح الوجوب لغيره وهو نفسه يحتاج لغيره؟ هذا تناقض.
   - وإذا كان **واجباً**، فسنحتاج لوجوب آخر يفسر وجوبه، وهكذا في سلسلة لا تنتهي (تسلسل)، وهو باطل عقلاً.
2. **الدليل الثاني (حول الوجوب)** :لو كان الوجوب موجوداً خارجياً، فإما أن يكون هو "عين ذات الواجب" أو "جزءاً منها" أو "خارجاً عنها:"
   - لا يصح أن يكون **عين الذات**؛ لأن النسبة العقلية تأتي دائماً بعد تصور الذات.
   - لا يصح أن يكون **جزءاً منها**؛ لأن الواجب لا يتركب من أجزاء.
   - لا يصح أن يكون **خارجاً عنها**؛ لأنه لو كان صفة زائدة لكان "محتاجاً" للذات ليقوم بها، والمحتاج "ممكن" وليس واجباً.
3. **الدليل الثالث (حول الإمكان)** :بنفس منطق الدليل الأول؛ لو كان "الإمكان" موجوداً خارجياً لزم أن يكون واجباً أو ممكناً، وكلاهما يؤدي إلى بطلان (التسلسل أو التناقض).
4. **الدليل الرابع (حول الإمكان)"** :الإمكان" يسبق "الوجود" (فالشيء يكون ممكناً قبل أن يوجد)، بينما الصفة الحقيقية لا توجد إلا بوجود صاحبها (الموصوف)، فدل ذلك على أن الإمكان حكم عقلي وليس صفة خارجية.

أدلة الفريق الثاني: الوجوب والإمكان أمران وجوديان (حقيقيان)

حاول هذا الفريق إثبات أن هذه المفاهيم لها حقيقة في الخارج:

- **حججهم حول الوجوب:**
  - **الحجة الأولى** :لو كان الوجوب أمراً عدمياً (غير موجود)، لكان الوجود يتقوى ويترسخ بأمر عدمي، وهذا غير معقول.

- **الحجة الثانية** :لو كان الوجوب مجرد اعتبار ذهني، لكان الله واجباً فقط "عندما نفكر فيه"، بينما الله واجب الوجود سواء فكر فيه العقل أم لا.
-)يرد الكتاب على هذه الحجج مبيناً أن الاتصاف بالشيء في نفس الأمر لا يستلزم أن يكون هذا الشيء مادة موجودة في الخارج، مثل "العمى" فهو صفة حقيقية للشخص لكنها في الأصل "عدم البصر("

- **حججهم حول الإمكان:**
  - **الحجة الأولى** :نقيض الإمكان هو "اللا إمكان"، واللا إمكان أمر عدمي، ونقيض العدمي يجب أن يكون وجودياً.
  - **الحجة الثانية** :لو كان الإمكان ذهنياً فقط، لكان الشيء ممكناً فقط بفرض العقل، بينما الأشياء الممكنة (كالإنسان) هي ممكنة في حد ذاتها .
  -)يرد الكتاب أيضاً بأن الإمكان صفة تصف حقيقة الشيء في نفس الأمر، ولا تستلزم وجوداً مادياً مستقلاً للإمكان في الخارج (

أحكام الواجب لذاته (صفحة 21 – 22)

الواجب لذاته هو الله سبحانه، وقد ذكر المؤلف له ثلاثة أحكام عقلية ضرورية:

1. **لا يكون واجباً لغيره** :لأن الواجب لذاته مستغنٍ تماماً في وجوده عن أي مؤثر، بينما الواجب لغيره محتاج لغيره ليمده بالوجود، والاحتياج والغنى لا يجتمعان.
2. **لا يكون مركباً** :الله منزه عن التركيب، سواء كان تركيباً من أجزاء مادية (كالأعضاء) أو أجزاء عقلية؛ لأن كل مركب يحتاج لأجزائه ليوجد، والواجب مستغنٍ عن كل ما سواه .
3. **لا يكون متعدداً** :أي أنه واحد لا شريك له، وسيفصل المؤلف هذا في مبحث الوحدانية.

أحكام الممكن (المخلوقات) – (صفحات 22 – 24)

الممكن هو ما يقبل الوجود والعدم (كالإنسان والعالم)، وله ثلاثة أحكام:

الحكم الأول: الاحتياج إلى السبب (المؤثر):

- العقل يدرك بالبداهة أن الممكن لا يمكن أن يخرج من العدم إلى الوجود بنفسه، بل يحتاج لسبب يرجح كفة الوجود .
- الممكن يحتاج للسبب في **بدايته** (عند الحدوث) وفي **بقائه** (استمرار وجوده)؛ لأن صفة "الإمكان" والفقر للسبب ملازمة له دائماً.

الرد على شبهات "الصدفة" و"الإنكار":"

- **شبهة التأثير** :ادعى البعض أن التأثير في الممكن مستحيل لأنه إما أن يكون حال وجوده (وهو تحصيل حاصل) أو حال عدمه (وهو جمع بين النقيضين) .رد الكتاب بأن الإيجاد والوجود قد يتقارنان زماناً أو يسبق الإيجادُ الوجودَ، كتعاقب الليل والنهار .
- **شبهة الترجيح بلا مرجح** :قالوا إن الشخص قد يختار طريقاً من طريقين متساويين بلا سبب. والرد هو أن "الإرادة" هي المرجح؛ فمجرد اختيارك لأحدهما هو ترجيح بإرادتك .

علة الاحتياج للمؤثر (صفحات 25 – 28)

اختلف العلماء في السبب الذي جعل الممكن يحتاج لخالق:

1. **الإمكان** :مجرد كونه "ممكن الوجود" يجعله محتاجاً (رأي الحكماء والمحققين) .
2. **الحدوث** :كونه "بدأ بعد أن لم يكن" هو سبب حاجته (رأي كثير من المتكلمين).
3. **الإمكان والحدوث معاً**، أو **الإمكان بشرط الحدوث**.

خلاصة المؤلف للجمع بين الآراء :أن **الحدوث** هو العلة التي تجعلنا "نعلم" بالحاجة (دليل عقلي)، أما **الإمكان** فهو العلة الحقيقية للاحتياج في "واقع الأمر."

تساوي الوجود والعدم للممكن (صفحات 28 – 30)

الحكم الثالث للممكن :أن ذات الممكن لا تقتضي وجوداً ولا عدماً، بل هما متساويان بالنسبة له ككفتي الميزان .

- إذا وجد الممكن فلسبب خارجي، وإذا انعدم فلسبب خارجي (وهو عدم وجود المؤثر).
- **الرد على من قال "العدم أولى بالممكن** :"زعم البعض أن العدم أسهل للممكن لأنه يكفي له "غياب جزء من السبب ." رد الكتاب بأن السهولة هنا ترجع للسبب الخارجي وليس لذات الممكن نفسه، فذاته تظل محايدة .
- **الأعراض السيالة (كالحركة والصوت)** :ادعى البعض أن العدم أولى بها لأنها تنقضي بسرعة .الرد هو أن طبيعتها تقتضي التجدد، وهذا لا يمنع تساوي الوجود والعدم بالنسبة لذاتها.

بهذا تنتهي الصفحة 30، وقد وضحت أن كل ما في الكون من "ممكنات" هو فقير ومحتاج في أصل وجوده واستمراره إلى "واجب الوجود" الخالق المستغني عن كل شيء.

خلاصة الصفحات :(30–21) تؤكد هذه الصفحات على فكرة "الفقر المطلق" للمخلوقات (الممكنات) مقابل "الغنى المطلق" للخالق (الواجب لذاته)، وتثبت بالعقل بطلان فكرة الصدفة، وتوضح أن كل ما تراه عيناك يحتاج في كل لحظة إلى قيومية الله ليبقى موجوداً.

مباحث القدم والحدوث (صفحة 31–32)

بدأ هذا القسم بتوضيح مفهوم "القدم" (أي أن الشيء موجود منذ الأزل بلا بداية) من وجهة نظر الفلاسفة (الحكماء) وعلماء الكلام:

1. معاني القدم عند الفلاسفة (الحكماء):

- **القدم الذاتي:** هو الوجود الذي لم يسبقه غيره أصلاً، لا "عدم" ولا "موجود" آخر. وهذا النوع لا يوصف به إلا **ذات الله تعالى**.
- **القدم الزماني:** هو الوجود الذي لم يسبقه "عدم" في الزمان، لكن قد يسبقه "موجود" آخر (أي أنه محتاج لغيره). الفلاسفة يرون أن "الأفلاك والعقول" قديمة زماناً لأنها دائمة الوجود، لكنها تابعة لذات الله .

1+

- **طول المدة:** يُطلق "القدم" مجازاً على الأشياء التي طال عليها الزمن، مثل قولنا "هذا بناء قديم"، وهذا لا ينطبق على الله لأنه منزه عن الزمان .

2. معاني القدم عند غير الحكماء (أهل السنة):

- **الذاتي:** هو الوجود الذي لم يسبقه عدم، وهذا وصف لله وصفاته.
- **الإضافي:** هو أن يكون الشيء أقدم من غيره، مثل قدم الأب بالنسبة للابن. وهذا النوع (والزماني الذي هو طول المدة) مستحيل في حق الله تعالى.

لماذا لا يكون القديم أثراً لفاعل مختار؟ (صفحة 32–33)

هذا مبحث عقلي دقيق يوضح العلاقة بين "الخالق المختار" وبين "الخلق":

- **القاعدة:** الشيء القديم (الذي لا بداية له) يستحيل أن يكون نتيجة لفعل "فاعل مختار" .
- **السبب:** لأن الفاعل المختار (الذي يفعل بمحض إرادته وقصده) يجب أن يسبق فِعْلُه الشيءَ الذي أوجده . والقصد إلى إيجاد شيء يفترض أن هذا الشيء كان "معدوماً" قبل إيجاده، وكل ما وُجد بعد العدم فهو "حادث" وليس "قديماً".

1+

- **النتيجة:** كل ما خلقه الله بإرادته واختياره فهو **حادث** (له بداية)، أما القديم فلا يصح أن يكون مخلوقاً بإرادة .

مباحث الحدوث (صفحة 33)

انتقل الكتاب لشرح "الحدوث" وهو عكس القدم، وله ثلاثة معانٍ تقابل معاني القدم:

1. **حدوث ذاتي:** هو احتياج الشيء لغيره لكي يوجد.
2. **حدوث زماني:** هو كون الشيء مسبوقاً بالعدم (أي كان غير موجود ثم وُجد)، مثل وجود الإنسان.

3. **حدوث إضافي**: ويقصد به قصر المدة، كأن نقول "هذا بناء حديث" أي زمن بنائه قريب.

ادعاء الفلاسفة حول المادة والمدة (نهاية صفحة 33): ذكر الفلاسفة (الحكماء) رأياً يزعم أن كل "حادث" (مخلوق) لا بد أن تسبقه حاجتان:

- **المادة**: الأجزاء التي يتكون منها الشيء.
- **المدة**: الزمن الذي وُجد فيه.
- **حجتهم**: يقولون إن الشيء قبل أن يوجد لا بد أن يكون "ممكناً"، وهذا "الإمكان" عندهم صفة تحتاج لمحل (مادة) تقوم بها، فاستنتجوا أن المادة يجب أن تكون قديمة وموجودة قبل كل الحوادث . *(سيقوم الكتاب في الصفحات التالية بالرد على هذا الادعاء وإبطاله).*

الرد على زعم الفلاسفة في "المادة" (صفحة 34–35)

ماذا زعم الفلاسفة (الحكماء)؟ قالوا إن أي شيء يظهر للوجود (حادث) لا بد أن تسبقه "مادة" (أصل مادي) يحمله، و"مدة" (زمن) يقع فيه. حجتهم في ذلك أن الشيء قبل أن يوجد لا بد أن يكون "ممكناً"، وهذا "الإمكان" صفة، والصفة لا بد لها من شيء مادي تسكن فيه (محل).

كيف رد عليهم علماء التوحيد؟ فرق العلماء بين نوعين من "الإمكان:"

1. **الإمكان الذاتي** :وهو مجرد كون الشيء "يجوز وجوده وعدمه" في العقل. وهذا النوع هو "أمر اعتباري ذهني"، أي أنه حكم يصدره العقل ولا يحتاج لمادة ملموسة في الخارج لكي توجد فيه هذه الصفة.
2. **الإمكان الاستعدادي** :وهو مراحل التهيؤ (مثل تهيؤ النطفة لتصبح علقة).
   - **الرد القاطع** :أن الله سبحانه "فاعل مختار" وليس "علة موجبة"؛ فالفاعل المختار (الخالق) قادر على خلق الشيء "دفعة واحدة" دون الحاجة لمواد سابقة أو مراحل استعدادية. فالمادة ليست ضرورة عقلية للخلق، بل هي مجرد "عادة" أجراها الله في بعض خلقه.

الرد على زعمهم في "المدة والزمان" (صفحة 35–36)

زعم الفلاسفة :أن كل حادث لا بد أن يسبقه زمان، فإذا قلنا إن العالم "حادث"، فهذا يعني أنه وُجد في زمان، فيكون الزمان قديماً وموجوداً قبل العالم.

الرد:

- الزمان نفسه "حادث" ومخلوق من مخلوقات الله.
- كلمة "قَبْل" التي نستخدمها عندما نقول (كان الله ولا شيء معه) ليست "زماناً حقيقياً"، بل هي "زمان موهوم" يتخيله العقل ليتمكن من ترتيب الأحداث.

- الحق أن الله خلق "الزمان" مع "العالم"، فلا يوجد زمان حقيقي يسبق خلق العالم.

أقسام "التقدم" (أنواع السبق) – (صفحة 36–37)

بما أن الكلام دار حول "السبق واللحوق"، فصل الكتاب في أنواع "التقدم" ليعرف طالب العلم كيف يكون الشيء سابقاً لغيره، وهي خمسة أنواع:

1. **التقدم بالعِلّيّة (السببية)** :مثل تقدم حركة "الإصبع" على حركة "الخاتم" الذي تلبسه. فكلاهما يتحركان في نفس اللحظة، لكن حركة الإصبع هي السبب، فتعتبر "سابقاً" بالعلية.
2. **التقدم بالطبع** :هو تقدم الشيء الذي يحتاجه غيره لكنه ليس "خالقاً" له. مثل تقدم رقم "1" على رقم "2"، أو تقدم "الجزء" على "الكل"؛ فلا يمكن وجود (2) إلا بوجود (1) أولاً.
3. **التقدم بالزمان** :وهو النوع المشهور، كتقدم "الأب" على "الابن" في وقت الوجود، أو تقدم يوم السبت على يوم الأحد.
4. **التقدم بالرتبة** :وهو نوعان:
   - **حسي** :كتقدم "الإمام" على "المأموم" في المكان، أو تقدم "الصدر" على "الظهر."
   - **عقلي** :كتقدم "الجنس" على "النوع" في تعريفات المنطق (مثل تقدم كلمة "حيوان" على كلمة "إنسان").
5. **التقدم بالشرف** :وهو التقدم في المكانة والفضل، كتقدم "العالم" على "الجاهل"، أو تقدم "أبي بكر الصديق" على غيره من الصحابة في الفضل، وإن كانوا في زمان واحد.

خلاصة الحدوث وحاجة العالم للمحدث (صفحة 38)

في ختام هذا المبحث وقبل الانتقال لمسألة "التسلسل"، لخص الكتاب القواعد التالية:

- ثبت بالبراهين أن "العالم" بكل أجزائه (أجرام وأعراض) هو "حادث" (أي له بداية).
- كل "حادث" لا بد له من "مُحدث" (خالق) يرجح كفة وجوده على عدمه.
- هذا الخالق لا يجوز أن يكون هو نفسه "حادثاً"؛ لأنه لو كان حادثاً لاحتاج لخالق آخر، وهذا يؤدي بنا إما إلى "الدور" (وهو باطل) أو إلى "التسلسل" (وهو ما سيتم شرح بطلانه في المبحث التالي).

بذلك نكون قد وصلنا إلى نهاية صفحة 38، تماماً قبل الدخول في مبحث "التسلسل."

مبحث التسلسل (صفحة 39)

تعريف التسلسل: هو أن يعتمد وجود الشيء "الممكن" على سبب (علة)، وهذا السبب يعتمد بدوره على سبب آخر، وهكذا في سلسلة لا تنتهي أبداً.

برهان التطبيق (الدليل العقلي على بطلان التسلسل): استخدم علماء الكلام دليلاً عقلياً لإثبات أن السلسلة لا بد أن تنتهي لخالق أول، وملخصه:

1. تخيل سلسلتين من العلل: الأولى تبدأ من **"الآن"** وتعود للخلف إلى ما لا نهاية (تسمى الآنية)، والثانية تبدأ من **"زمن قديم"** (كوقوع الطوفان مثلاً) وتعود للخلف إلى ما لا نهاية (تسمى الطوفانية).
2. لو طبقنا السلسلة الثانية على الأولى (بمقابلة أفراد السلسلتين)، فإما أن يتساويا أو يتفاوتا:
   - **إذا تساويا:** فهذا محال؛ لأن السلسلة التي بدأت من "الآن" أطول من التي بدأت من "الطوفان" بمقدار محدد (المسافة الزمنية بينهما)، فلا يصح عقلاً مساواة الزائد للناقص.
   - **إذا تفاوتا:** فهذا يعني أن السلسلة الناقصة (التي بدأت من الطوفان) قد انتهت عند نقطة ما. وبما أن التفاوت بينهما مقدار محدد، فإن السلسلة الطويلة لا بد أن تنتهي أيضاً. **النتيجة:** في الحالتين يثبت أن السلسلة "متناهية" ولها بداية، مما يبطل فكرة التسلسل ويوجب الانتهاء إلى "علة أولى" هي الله سبحانه.

الرد على الاعتراضات (صفحات 40 – 42)

أورد البعض اعتراضات على هذا البرهان، ورد عليها الكتاب كالتالي:

- **الاعتراض حول الأعداد:** قالوا إن الأعداد لا تتناهى (من 1 إلى ما لا نهاية، ومن 2 إلى ما لا نهاية) ومع ذلك بينهما تفاوت.
- **الرد:** الأعداد هي أمور "وهمية ذهنية" لا وجود مادي لها، أما التسلسل الذي نبطله فهو في "المعلولات الموجودة" في الواقع.
- **الاعتراض حول معلومات الله:** قالوا إن معلومات الله ومقدوراته لا تتناهى.
- **الرد:** المقصود بعدم تناهي مقدورات الله أنها لا تقف عند حد معين (أي كلما خلق شيئاً قدر على خلق غيره)، أما ما دخل فعلياً في حيز الوجود من المخلوقات فهو **متناهٍ** ومحدود قطعاً.

لماذا ندرس "الجوهر والعرض"؟ (صفحة 43)

انتقل الكتاب لبيان سبب دراسة المتكلمين لطبيعة الأجسام (التي يسمونها الجواهر والأعراض) قبل الحديث عن صفات الله:

1. **إثبات حدوث العالم:** العلماء يقسمون العالم إلى أجزاء صلبة (جواهر) وصفات طارئة كالحركة واللون (أعراض). فإذا أثبتوا أن كل جزء فيها هو "حادث" (له بداية)، يثبت بالضرورة أن العالم كله حادث.
2. **الوصول للصانع:** بحدوث العالم، نستدل عقلاً على وجود "مُحدث" وصانع له وهو الله.
3. **ترتيب البحث:** تنحصر هذه المباحث في ثلاثة مطالب: (تعريف الجوهر والعرض، أقسامهما، وأحكامهما).

مدخل لمبحث الجوهر (صفحة 44)

هنا يبدأ التفصيل في "الجوهر"، وهو في لغة المتكلمين يُطلق على **الممكن الموجود** (أي المخلوق القائم بنفسه)، ومن أهم ما ذُكر في هذه الصفحة:

- **تعريف الحكماء (الفلاسفة)**: الجوهر هو الشيء الذي إذا وُجد في الخارج لا يحتاج لمحل يحمله (أي لا يحتاج لشيء آخر يسكن فيه).
- **تعريف المتكلمين**: هو الشيء الذي يتحيز بنفسه (يأخذ مكاناً خاصاً به) ولا يتبع في تحيزه شيئاً آخر.
- **تنبيه منطقي**: تعريف الجوهر لا يعتبر "حداً تاماً" لأنه بسيط لا أجزاء له تُعرفه، بل هو تعريف بالخاصة (رسم ناقص).

بهذا تنتهي الصفحة 44 تماماً قبل الدخول في تفاصيل أقسام الجوهر.